صوت الشعب

اللسان المركزي لحزب العمال - سلسلة جديدة عدد خاص "فلسطين" - الثلاثاء 24 أكتوبر 2023

من وحي الذاكرة :

لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لسني على شيعي إلاّ بمقاومة الامبرياليّة والصّهيونيّة

5

الشعب يريد تجريم التطبيع

في الربط مع القضايا القطرية

يد مع المقاومة الفلسطينيّة وأخرى على الأنظمة العميلة الفاسدة

3

في فهم التناقضات

المقاومة المسلحة عنوان معركة التحرير الوطني، فلا للخلط ولا للتشويش عليها

4

في البعد الأممي

فلسطين قضية أممية : قضية فلسطين قضية أحرار العالم تطوير الإسناد الأممي مهمة الثوريين

6

في الدفاع عن القضية الفلسطينية
تونس تدافع عن نفسها أيضا

بقلم شريف خرايفي

لا يخفى على أحد ما قدّمه الشعب التونسي للقضية الفلسطينية في كل الحروب التي خاضتها ضدّ العدو الصهيوني.

شيء من الذاكرة:

قد لا نستطيع أن نُحصي بدقة عدد الشهداء وأسماءهم، ولا عدد المتطوّعين في الحروب والثورات التي قامت بها فلسطين، ولكن الثابت أنّ الدم التونسي اختلط بالدم الفلسطيني في أكثر من مكان جغرافي في أغلب مدن فلسطين، من يافا والخليل والقدس وغيرها، شارك التونسيون في أكثر من عملية فدائية، ونصبوا الكمائن لدوريات العدو، حنبا إلى جنب مع اشقائهم، فلسطينيين وعرب متطوعين.

كما نفذ عديد المتطوعين عمليات مشابهة في جنوب لبنان ومزارع شبعا وغيرها.

وفي تونس، كان لنا نصيب أيضا ممّا ناله قادة منظمة التحرير الفلسطينية، في حمام الشط 1985 وفي عملية اغتيال أبو جهاد (1988).

وفيم تمّ إرسال رفاة بعض من ارتقوا في ساحات القتال، في عمليات تبادل أسرى مختلفة، إلا أن العديد منهم مازال مصيرهم مجهول.

تونس في الموعد مع "طوفان الأقصى"

منذ أن تناهت إلى مشارق الأرض ومغاربها بشرى نجاح مجموعة من مقاتلي "القسّام" في العبور خارج "حدود" غزة، وقيامهم بشكل مباغتٍ باستهداف نقاط عسكرية حيوية، ونشر صور أسْر مجموعة كبيرة من جيش العدو، انطلقت تحركات تضامن ومساندة لهذا "الفتح المبين"، كانت في البداية على وسائل التواصل الاجتماعي، ثم خرجت إلى الشوارع وأخذت نسقا تصاعديا، من حيث التنوع وكذلك الامتداد الجغرافي.

أولى هذه التحركات الميدانية كانت يوم الاحد 8 أكتوبر بدعوة من "تنسيقية القوى الديمقراطية التقدّمية" التي نفذت مسيرة من "باب بحر" بالعاصمة وانتهت بوقفة أمام المسرح البلدي.

ومن الغد خرج التونسيون في عديد المدن، سوسة وصفاقس وقفصة والقيروان والكاف...

اللجنة الوطنية لدعم المقاومة إطار أوسع وفاعل

يوم الاثنين 9 أكتوبر، وبمقر الاتحاد النقابي المغاربي، التقى طيف واسع من المكونات الحزبية ومن المنظمات الوطنية والجمعيات المدنية لتباحث سبل دعم المقاومة الباسلة وإطلاق حملة تبرعات لما يحتاجه الغزاويون وهم يواجهون بربريّة الكيان الصهيوني الغاشم.

أقرّ الاجتماع الأول للّجنة مسيرة وطنية من أمام المقر المركزي للاتحاد العام التونسي للشغل إلى شارع الحبيب بورقيبة، وكانت مسيرة معتبرة، منظمة ومؤطرة من القوى المنضوية صلب اللجنة المذكورة.

كما دعت اللجنة في بيانها بضرورة تكوين لجان دعم جهوية حتى تضفي أكثر تعبئة للتحركات القادمة وكذلك تساهم في توسيع نطاق التبرعات.

هذا إلى جانب برمجة خيمة كبيرة بشارع بورقيبة تكون فضاء للتحسيس بقيمة التبرّع والتعريف بالقضية الفلسطينية، تاريخا وأطوارا وحقيقة الصراع مع هذا الكيان "الورمي"، خاصة في ظل تنامي حملات التضليل والمغالطات...

"جريمة مستشفى المعمداني":

لم يشف غليل الكيان الصهيوني أنه يمطر أحياء غزة بحمم من القذائف الصاروخية، وحتى بأسلحة ممنوعة دوليا، بل أقدم بكل صلف وهمجية بإطلاق وابل من الصواريخ على مستشفى ... [البقية ص 2]

افتتاحية

لنواصل إسناد المقاومة بأهداف ملموسة وواضحة

تدخل معركة "طوفان الأقصى"، مع صدور هذا العدد من "صوت الشعب" الالكترونية، أسبوعها الثالث. وخلافا لحسابات العصابة الصهيونية وشركائها في العدوان وعلى رأسهم الامبريالي الأمريكي المتوحّش، فإنّ غزة صامدة بمقاومتها المسلحة الباسلة وأهلها الجبّارين رغم المجازر التي يرتكبها الكيان النازي، المهزوم معنويا، منذ يوم 7 أكتوبر في حق المدنيين العزّل وخاصة منهم الأطفال والنساء غير مستثن حتى من هم في المستشفيات كما حصل في مجزرة "المعمداني"، بهدف الانتقام من جهة وحمل السكان على الهجرة من جهة ثانية.

كما أنّ هذه المقاومة مرشحة بأن تتسع رقعتها لتشمل ساحات أخرى في لبنان والعراق واليمن وسوريا حيث بدأت المناوشات مع الغزاة الصهاينة ومع القواعد العسكرية والقطع الحربية للامبريالية الأمريكية. وفي نفس الوقت تتسع رقعة المساندة الشعبية لغزة وللشعب الفلسطيني أكثر فأكثر لا في الأقطار العربية فحسب وإنما في العالم قاطبة بما فيه الولايات المتحدة وبريطانيا وألمانيا وإيطاليا وإسبانيا واليونان وفرنسا وغيرها من البلدان الغربية.

إنّ الدعايات الكاذبة على الطريقة النازية التي أطلقها الصهاينة وروّجها معهم إعلام الاحتكارات والكارتيلات الاستعماريّة لتضليل الشعوب وتقديم الجلاد في ثوب الضحية والعكس بالعكس، آخذة في الانكشاف مع افتضاح الوجه الإجرامي البشع للكيان النازي.

وقد شملت حركة المساندة بلادنا. واتسعت تدريجيا لتبلغ درجة كبيرة بعد جريمة مستشفى المعمداني وتشكلت اللجنة الوطنية لدعم المقاومة الفلسطينية التي أنجزت إلى حد الآن مسيرتين شعبيتين كبيرتين كما أصبحت لها فروع في بعض الجهات. ويشارك حزبنا إلى جانب أحزاب تنسيقية القوى الديمقراطية التقدمية في هذه اللجنة الوطنية وفروعها وفي كامل أنشطتها. وما من شك في أنّ استمرار العدوان الهمجي على غزة يتطلب مواصلة حركة المساندة وتوسيعها وتطويرها وتجذيرها. وحتى تكسب هذه المساندة النجاعة اللازمة فمن الضروري أن تكون لها أهداف سياسية ملموسة تنقاد بها. وهذه الأهداف أصبحت اليوم واضحة تردّدها حناجر الآلاف من المحتجّين والمحتجّات وما علينا إلا صياغتها والدعاية المكثفة لها والعمل على تحقيقها في الأرض : تقنين تجريم التطبيع مع الكيان الصهيوني، طرد السفيرين الأمريكي والفرنسي، إلغاء اتفاقية الشراكة الاستراتيجية (الأمنية والعسكرية...) مع الولايات المتحدة الأمريكية، تقديم الدعم الطبي والغذائي لأهل غزة.

ومن البديهي أنّ حركتنا في تونس تمثل جزءا من الحركة العامة في الوطن العربي. ففي بلدان التطبيع من الضروري أن تقتحم الجماهير سفارات الكيان الصهيوني وتغلقها وتطرد من فيها من السفراء والدبلوماسيين. كما أنه من الضروري أن تعمل على طرد سفراء الولايات المتحدة التي تشارك في العدوان وتديره مع الكيان النازي. وبالنظر إلى موقع مصر في علاقة بغزة فإن القوى الحية المصرية مطالبة بالضغط على نظام السيسي المطبّع لفرض فتح معبر رفح لإيصال المساعدات إلى أهالي غزة المحاصرين برا وبحرا وجوا. وفي بقية البلدان الأخرى فإن "الطوفان الجماهيري" من الضروري أن يوجّه ضد السفارات الأمريكية والفرنسية وغيرهما من سفارات الدول الغربية التي تدعم العدوان. إن هذا الضغط من شأنه أن يصدّ حكومات هذه البلدان ويكبح جماحها ويثير مواطناتها ومواطنيها ضدّها.

وفي كلمة فإنّ حركتي المقاومة المسلحة في غزة، وكذلك في لبنان وسوريا واليمن والعراق من جهة وحركة المقاومة الجماهيرية الشعبية في هذه البلدان ذاتها وفي باقي الأقطار العربية من جهة ثانية من الضروري أن تسيرا جنبا إلى جنب لتشكلا تيارا واحدا ضد العدو الصهيوني وشركائه في العدوان. وهو ما من شأنه أن يعطي زخما جديدا لحركة التضامن المتعاظمة في مختلف البلدان في العالم، هذه الحركة القادرة من جهتها على الضغط من أجل وقف العدوان ورفع الحصار عن غزة وإيصال المساعدات الطبية والغذائية.

إن العدوان والمجازر والمذابح متواصلة. ومن الواضح أنها لن تتوقف لا اليوم ولا غدا، فالأمر ما زال يتطلب تعبئة كبيرة في مختلف المستويات. إن الصهاينة يتكلمون عن حرب ستدوم أسابيع أو ربما أشهرا ليحققوا أهدافهم النازية في تدمير غزة وتهجير سكانها. وهو ما يتطلب منّا في تونس الاستمرار في الوقوف إلى جانب المقاومة والشعب الفلسطيني، شعب الجبارين الذي لن يترك العدو يحقق أهدافه الإجرامية، دون إغفال مهامنا في الداخل التونسي وهي كثيرة. إن سلطة الانقلاب تحاول استغلال هذا العدوان للتظاهر بالوقوف إلى جانب الشعب الفلسطيني دون اتخاذ أية خطوة عملية لصالحه من جهة ولتمرير مشاريعها المعادية للشعب وفي مقدمتها الميزانية الكارثية للعام الجديد ولمواصلة حملاتها القمعية ضد معارضيها من جهة ثانية. وفي كلمة فإننا مطالبون بالنضال على الواجهتين المترابطتين الداخلية والخارجية.

عمار عمروسية

يد مع المقاومة الفلسطينيّة وأخرى على الأنظمة العميلة الفاسدة

أعادت العملية البطولية للمقاومة "طوفان الأقصى" من جديد العيون والرّقاب للقضية الفلسطينية بكلّ حيثياتها التاريخية منذ وعد بلفور في 1917مرورا إلى النكبة الأولى الكبرى عام 1948وصولا إلى عقود طويلة من بطش الاحتلال الصهيوني الذي لم يعجز فقط عن كسر شوكة قوى المقاومة المسلحة وخنق المقاومة الشعبية، بل لعب، ولو من دون قصدٍ، دورا عكسيا أفضى إلى تصليب عود النضال الوطني وتجذير مضامينه وفتحه على مدايات أرقى وضعته تدريجيا على سكّة الانتصارات الجزئية وقرّبته في عملية "طوفان الأقصى" من إمكانية تحقيق مهمّات التّحرّر الوطني والقضاء على دولة الاحتلال والعدوان الهمجي.

فالمواجهة الدائرة منذ فجر 7 أكتوبر الجاري رغم الرّجحان الكبير لموازين القوى العسكرية والسياسية والمالية لصالح الدولة الصهيونية وداعميها الكثر رسمت منذ اليوم الأول نصر المقاومة وشعبها وخطّت بـ"البُنط" العريض عناوين الهزيمة الاستخباراتية والأمنية والعسكرية وملاحقها السياسية والإعلامية والأخلاقية القيمية لآلة القتل والاحتلال.

نقلت عملية "طوفان الأقصى" البطولية حركة التّحرّر الوطني الفلسطيني إلى مجال أرحب وأوسع أعاد على نطاق واسع وهج الفعل المقاوم وأسهم بحدود محترمة وسط الجماهير الفلسطينية ومجمل الشعوب العربية وغيرها في تبديد مشاعر الإحباط واليأس والخروج من بوتقة الضغوطات اليوميّة للهث وراء القوت اليومي ومشاكل البطالة المستشرية والاقتتال الهجين تحت أنظمة العمالة والفساد والاستبداد.

حرّكت البطولات المتلاحقة للمقاومة في "غزّة" و"الضفة الغربية" وباقي الأراضي المحتلّة في 1948مستنقع الركود الكبير بالوطن العربي وأعادت إلى حدود معيّنة وبدرجات متفاوتة مشاعر الاعتزاز بالروابط القومية التي وجدت ترجمتها الملموسة في عودة الحياة للسّاحات العامّة وشوارع المدن العربية.

بطولات المقاومة وصمود الشعب الفلسطيني قفز بالقضية الفلسطينية إلى أعلى سلّم اهتمامات كلّ شعوب العالم ومجمل فعاليات النضال الشعبي والسياسي.

أكثر من ذلك فـ"طوفان الأقصى" فرضت جدارتها بحيازة ثقل كلّ العمل الديبلوماسي سواء في العلاقات بين جلّ الدول أو في أغلب المنظمات والهيئات الاقليمية والدولية.

حرّكت المقاومة الشوارع ووضعتها على سكّة النّهوض مجدّدا في وجه دولة التقتيل والتّهجير وغذّت مرّة أخرى مشاعر وقيم معاداة الامبرياليّة الغربيّة ورأس حربتها الولايات الأمريكية.

بالتوازي مع ذلك ضيّقت المقاومة بصمودها الخِناق على النظام الرّسمي العربي وخصوصا دول التطبيع والغدر وعرّت زيف الديموقراطيات الغربية وكشفت نوازعها المتسارعة نحو الفشْستة والديكتاتورية مثلما هو الحال بفرنسا وبريطانيا...

أفلحت المقاومة، مثلما أسلفت، في وضع القضية الفلسطينية على رأس جدول أعمال الجميع، بقطع النّظر عن مواقفهم واصطفافاتهم ونفضت الغبار عن أسئلة كثيرة مرتبطة في جوانب كثيرة منها بمهمّات حسن الرّبط بين إستحقاقات النضال الوطني (القطري/المحلّي) ومقتضيات نظيره القومي وحتّى الأممي.

إنّ تعقيدات الأوضاع الحاليّة في مجمل أبعادها المحليّة والاقليميّة والعالمية تدفع أكثر من أيّ وقت مضى إلى حسن تحديد المداخل الأساسيّة لبلورة التكتيكات الملائمة بما يسهم في تطوير الصّراع الطبقي محليّا والتّقدّم الجيّد في النّهوض بأدوارنا على المستوى القومي.

بعبارة أوضح فالانتصار الفعلي للقضية الفلسطينية ومقاومتها يظلّ مشروطا بالنضال المتماسك أولاّ ضد الرجعية العربية سواء الماسكة بدفّة الحكم أو خارجها.

ومن نافلة القول إنّ هذا الرّبط لن يتحقّق إلاّ بالموازنة بين تحمّل الدّفاع عن كلّ المعضلات القُطرية بجميع أبعادها الوطنية والدّيمقراطية والاجتماعية وبين الاستحقاقات القوميّة من خلال مهمّات ملموسة تسهم من جهة في توفير على الأقلّ الحدّ الأدنى لتأمين مضامين ملموسة للشعب الفلسطيني ومقاومته، ومن جهة أخرى فضح الطابع الديماغوجي الكاذب لمجمل النظام الرسمي العربي المنهار والمستسلم لإرادة القوى الامبريالية وصنيعتها هو الدولة الصهيونيّة.

[بقية ص 1] ... المعمداني الذي يؤمّ مئات الجرحى وكذا النازحين من الأحياء التي سُوّيت بالأرض. وكانت الحصيلة قرابة خمسمائة شهيد وأضعافهم من الجرحى.

في الحين، تنادت كل مكونات اللجنة الوطنية لدعم المقاومة للخروج إلى الشارع، هناك حيث تهاطلت على شارع العاصمة، كما هو الشأن في عدة مدن أيضا، أفواج من المواطنين.

وفي وسط العاصمة كان آلاف التونسيّين يهتفون بالموت للصهاينة وبطرد سفراء الدول الداعمة للكيان المجرم.

ومن الغد، كان يوما استثنائيا. حتى أنّ المتابعين اجزموا أنّ هذا الطوفان البشري لم تشهد تونس له مثيلا منذ 14 جانفي 2011. فقد أضربت عديد القطاعات بدعوة من نقاباتهم وعُلّقت الدروس في المعاهد والجامعات وتوجّه الجميع نحو شارع الثورة، فيما توجهت مجموعة من المحتجّين نحو سفارة الولايات المتحدة الأمريكية في البحيرة 2، ونفذوا وقفة في محيط السفارة، ومن أبرز منفّذيها، الأمين العام لحزب العمال الرفيق حمه الهمامي.

أما في الجهات، فقد ألهب الغضب والحقد على هذا الكيان الفاشستي آلاف التونسيّين ليملؤوا شوارع المدن وأزقتها، رافعين شعارات المقاومة والتنديد بمواصلة التعامل مع سفراء الدول الداعمة للكيان، ومطالبين في الآن ذاته بضرورة إصدار قانون يجرّم التطبيع بجميع أشكاله.

وأنهت اللجنة الوطنية برنامجها لهذا الأسبوع بتحرك وطني شعبي مساء أمس السبت انطلق من ساحة حقوق الإنسان بمحمد الخامس في اتجاه شارع الثورة مرة أخرى، لينتهي أمام سفارة فرنسا، خاصة وأنّ اليوم يصادف حملة دولية تطالب السلطات الفرنسية بإطلاق سراح جورج ابراهيم عبد الله المعتقل ظلما وجورا في سجون العار الفرنسي. وقد اعترضت كالعادة قوات مدجّجة من البوليس المحتجّين أين وضعت الحواجز والمتاريس قبالة السفارة المذكورة.

التنوع الفئوي والقطاعي للمتظاهرين

باستثناء المسيرة الأولى التي نظمها حزب العمال ضمن تنسيقية القوى الديمقراطية التقدّمية، والتي كانت بصفة فورية غداة انطلاق "العبور" ممّا لم يسمح لفئات كثيرة من التونسيّين للمشاركة فيها، فإنّ أغلب المظاهرات والأنشطة اللاحقة كانت عاكسة بحقّ لحجم حضور القضية الفلسطينية في وعي التونسيّين وفي ذاكرتهم من خلال التنوع الكبير للمتظاهرين، من تلاميذ وطلبة ومعطلين، عمال وموظفين، نقابيّين وسياسيّين من مختلف المراجع الفكرية.

أما السّمة البارزة للرسائل التي يهتف بها المتظاهرون، فهي تتعلق أساسا بضرورة سنّ قانون يجرّم التطبيع، بعيدا عن اللغو والشعبوية، وأيضا ضرورة طرد سفراء الدول الداعمة لجرائم الإبادة في حق الفلسطينيين.

فيما بدأ شعار "الشعب يريد فتح الحدود" يجد طريقه إلى الحناجر...

جيلاني الهمامي

المقاومة المسلحة عنوان معركة التحرير الوطني فلا للخلط ولا للتشويش عليها

لفت انتباهي هذه الأيام بيان لحزب يساري معروف بمواقفه الثورية والمبدئية صادر يوم 8 أكتوبر الجاري جاء فيه، بعد التعبير عن التنديد بالعدوان الغاشم الذي ما انفك يقوم به الكيان الصهيوني وبعد التعبير عن مساندة الشعب الفلسطيني ونضاله المشروع من أجل حقه في وطن مستقل، "إنّ مقاومة ونضال الشعب الفلسطيني منذ الانتفاضة أمر مشروع. ومع ذلك، فإن حماس ليست بالتأكيد القوة التي تمثل تراكم نضال الفلسطينيين، الذين يقاتلون من أجل بلدهم على حساب حياتهم منذ الماضي. لا يمكن التسامح مع الهجمات على السكان المدنيين من قبل حماس، التي خانت القضية الفلسطينية، وأفسدت نضال الأمة الفلسطينية من أجل المساواة في الحقوق، وهي في أقل الأحوال معقل لا يقل عن الصهيونية الإسرائيلية رجعية دينية...". وكما هو ملاحظ وقع البيان على الأقل في خطأين إثنين الأول القول بـ"لا يمكن التسامح مع الهجمات على السكان المدنيين من قبل حماس" ويتمثل الثاني في اعتبار حركة حماس "في أقل الأحوال معقلا لا يقل عن الصهيونية الإسرائيلية رجعية دينية". ففي الجانب الأول انجر أصحاب البيان وراء الدعاية الصهيونية المضللة فاعتبروا عملية "طوفان الأقصى" "هجمة على السكان المدنيين" وهو في رأيهم أمر غير مسموح به. وهم بهذا يشوّهون هذه العملية النضالية المسلحة للمقاومة الفلسطينية التي طالت المستوطنات الصهيونية وأساسا قاعدة "رعيم" العسكرية، التي كانت مقر القيادة الإسرائيلية لفرقة غزة. وواضح أن أصحاب البيان يتغاضون عمّا يمثله المستوطنون كواحدة من أدوات الاحتلال الصهيوني في السطو على الأراضي الفلسطينية وتهجير أصحابها الأصليين وتهويد المناطق التي يضمونها علاوة عن الأساليب القمعية التي يعتمدونها بحماية البوليس والعسكر الصهيوني. فالمفروض هو الإشادة بهذه العملية التي تكاد تكون هي الأولى – على الأقل منذ أكثر من ثلاثة عقود – التي أعادت الاعتبار للمقاومة الفلسطينية ورسمت خط سير القضية الفلسطينية خارج منطق التسوية التفريطية وأعطت إشارة صريحة لبدء مسار في تعديل موازين القوى بين المعسكرين، معسكر النضال الوطني الفلسطيني من أجل تقرير مصيره ومعسكر الاستعمار الاستيطاني الصهيوني كقاعدة متقدمة لقوى الاستعمار والهيمنة في المنطقة.

من جانب آخر اعتبر أصحاب البيان أن عملية "طوفان الأقصى" "وفرت فرصة ليقع النظر إلى هجمات حماس على أنها هدية ذهبية للنظام الامبريالي العالمي" بمنطق أن المقاومة الوطنية الفلسطينية لا يمكنها القيام بأيّ عمل ضد الغازي المحتل إلا بما لا يثير حفيظة "النظام الامبريالي العالمي". إن أسمى أهداف "النظام الامبريالي العالمي" هو تصفية القضية الفلسطينية نهائيا ودفن المقاومة مرة واحدة وتطبيع علاقات المحتل الصهيوني مع كامل محيطه الإقليمي والعربي خاصة وإدماجه بشكل كامل ضمن المنظومة الدولية الراهنة والمستقبلية. فإحجام المقاومة الفلسطينية عن النضال بما أوتيت من الإمكانيات هو في الحقيقة الذي يقدم خدمة ثمينة لمساعي "النظام الامبريالي العالمي" وليس العكس. إن تخلي الشعب الفلسطيني عن النضال من أجل تحرير وطنه السليب هو العامل الحاسم في تصفية قضيته والقضاء المبرم عليها ومنح العدو الصهيوني ومن ورائه "النظام الامبريالي العالمي" الفرصة الذهبية كي يجثم وإلى الأبد على أرض فلسطين. فكيف يسمح أصحاب البيان لأنفسهم الدفاع عن مثل هذه الذريعة التي لا نجد لها في الحقيقة أيّ وجه من وجوه المنطق. ولا أخال أن حزبا ثوريا يقبل مثلا أن يعيب عليه أيّ كان حقه في النضال من أجل حقوقه من أيّ مستوى كان بحجة عدم تقديم "فرصة ذهبية للنظام الامبريالي العالمي".

أما الخطأ الثاني، وهو أكثر جسامة من الأول، هو الحكم على حركة حماس من زاوية أيديولوجية ضيقة وبشكل

منفصل، تمام الانفصال، عن رهانات نضال الشعب الفلسطيني الجوهرية من ناحية والذهاب إلى اعتبارها لا تقلّ "رجعية دينية عن الصهيونية الإسرائيلية". إن موقفا من هذا القبيل ينمّ عن جهل بطبيعة المرحلة التاريخية التي تمرّ بها القضية الفلسطينية وطبيعة المعركة الجارية الآن على أرضها وطبيعة المعسكرين المتقابلين في مواجهة عسكرية سافرة.

لقد عرفت العقود الأخيرة تراجعا واضحا للكفاح المسلح الفلسطيني لصالح منطق التسويات كرّسته اتفاقيات أوسلو التي أفضت في النهاية إلى تعزيز نفوذ الكيان الصهيوني ومنحته لا فقط فرصة للتمدد أكثر فأكثر على الأراضي الفلسطينية في شكل مستوطنات وعمليات ضمّ وإنما أيضا عبر صفقات تطبيع مع عدد من البلدان العربية بعد مصر والأردن (الإمارات والبحرين والمغرب...). وبعد انقضاء حوالي 30 سنة عن اتفاقيات أوسلو التفريطية بات واضحا أن هذا النهج سائر بالقضية الفلسطينية إلى التصفية النهائية. وهي القناعة التي أثمرت ظهور حركات مقاومة مسلحة جديدة (الأجنحة العسكرية لحماس والجهاد الإسلامي) وعودة بعضها الآخر بعد أن كاد يضمحل (الجبهة الشعبية والجبهة الديمقراطية، الخ.).

إن قضية الشعب الفلسطيني قضية تحرر وطني من مستعمر غاشم استيطاني فاشستي ليس ككل أشكال الاستعمار الأخرى. ويواجه في هذه المعركة الضارية بكل فعالياته عدوا مشتركا هو العدو الصهيوني، ويحتاج للنصر فيها لوحدة صفوفه كشعب ومجتمع وكفعاليات نضال بكل أبعاده السياسية والعسكرية والديبلوماسية... ويتمّ الفرز ضمن هذه الفعاليات النضالية على أساس من مع النضال بكل أشكاله من أجل التحرير الوطني والاستقلال ومن ضده أو هو متخاذل في أدائه على الوجه الأتم. ففي هذه المعركة لا مكان لاعتبارات أخرى، وإن بشكل ثانوي وغير ذي معنى، للحكم على أيّ طرف سياسي إلا على هذا الأساس، أي على أساس الموقف الوطني الملتزم. والمقصود بالموقف الوطني الصميم في ظل ما عرفته القضية الفلسطينية من خيانات من قبل القادة الإصلاحيين والرجعيين الذين تواطؤوا مع العدو باسم الاتزان والمعقولية والبراغماتية ومن منطلق القبول بالشرعية الدولية هو العودة إلى خط المقاومة الوطنية وإلى خط البندقية والتحرير الثوري للوطن. لقد بينت التجربة أن لا بديل عن الكفاح المسلح من أجل إجراء تغيير ولو طفيف في موازين القوى الراهنة. فالكفاح المسلح هو الأداة الأرقى كشكل من أشكال النضال وأكثرها فعالية دفاعا عن القضية الوطنية من كل محاولات التصفية. وبطبيعة الحال فإن كل من يحمل البندقية من أجل تحرير الوطن بصرف النظر عن منطلقاته الأيديولوجية أو طبيعة المجتمع الذي يروم بناءه بعد نيل الاستقلال هو طرف وطني وجب وضع اليد في اليد معه من أجل تمتين عود المقاومة وتوفير أسباب نجاحها في دحر العدو. كنا نودّ أن تكون كل قوات المقاومة المسلحة موحدة في جسم واحد ولكن ظروف النضال وإكراهاتها تفرز بشكل موضوعي مقاربات وبالتالي قوى متنوعة تختلف في المنطلقات الأيديولوجية والمشاريع المجتمعية. فمنها من يتخذ من الدين أيديولوجية تحرير ومن المجتمع المحكوم بالشريعة الدينية نموذجا للحكم الذي يروم تطبيقه. ومنها من يتخذ من الفكر الليبرالي أو القومي منطلقا ومشروع نظام ومجتمع. ومنها من يتخذ من الفكر الاشتراكي كذلك منطلقا ومشروعا. لكن في المرحلة التاريخية الراهنة تبقى كل هذه الاعتبارات ثانوية – بمعنى من المعاني – أمام الاعتبار الأول والأهم وهو من مع النضال المستميت والمبدئي من أجل تحرير فلسطين ومن هو مستعد للتنازل عن ذلك أو مستعد للتفاهم مع عدو لا يقبل إلا السيطرة على كامل فلسطين وفلسطين الكبرى.

لذلك وجب تصويب الرماية وعدم التشويش على حركة النضال لشعب فلسطين ومقاومته المسلحة الباسلة.

الطاهر الهمامي

من وحي الذاكرة :

لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لسني على شيعي إلاّ بمقاومة الامبريالية والصهيونية

تعكس الخلافات العربيّة النّاجمة عن الحرب الإسرائيليّة على لبنان اختلافا تقليديّا في الاصطفاف بين توابع المشروع الأمريكي والمناضلين من أجل المشروع الوطني والنّهضة القوميّة. لكنّها تعكس أيضا سوء فهم البعض لطبيعة التّناقضات القائمة وأحجامها وكيفيّة معالجتها، بما قد يؤدّي إلى إضعاف المقاومة وتقوية جانب المعتدين وإنعاش آمال المتواطئين وعبيد الاستعمار.

ولانعتقد أنّ من كان يملك قدرا من المبدئيّة والفهم السّياسي يغيب عنه الفارق بين التّناقضات الثّانويّة (المعدودة في صفوف الشّعب حسب التّعبير الشّائع) والتّناقض الرّئيسي (الذي يقابل الشّعوب والأمم بأعدائها) وأنّ كلّ مرحلة يحكمها تناقض رئيسي واحد تخضع له بقيّة التّناقضات ومن دون الإمساك به تتبعثرالقوى وتفقد البوصلة.

كما لا نعتقد أنّ ذا الرّأي السّويّ والرّؤية الواقعيّة يعجز اليوم عن تحديد طرفي التّناقض الرّئيسي على مسرح الأحداث العالميّة وعلى صعيد ما يجري بمنطقة الشّرق الأوسط عموما والمنطقة العربيّة خصوصا المحاصرة منذ انتصاب "النّظام العالمي الجديد" تحت لواء القطب الواحد وتسارع وتيرة الأمركة القسريّة للعالم. أمّا الطّرف الأوّل المستهدف فيتألّف من كافّة بلدان المعمورة وشعوبها وأممها المستعمرة أو المهدّدة بالاستعمارأو المحاصرة أو الفاقدة جزءا من سيادتها أو غير المسيطرة على ثرواتها ولا هي متحكّمة في قرارها، وتتصدّرهذه البلدان فلسطين والعراق وأفغانستان وتمتدّ كي تشمل سوريا ولبنان وإيران والسّودان وفنزويلا وكوبا وكوريا الشّماليّة، إلخ. وأمّا الطّرف المقابل فتتزعّمه الامبرياليّة الأمريكيّة، السّاعية إلى بسط نفوذها المطلق وإقامة امبراطوريّتها على مختلف القارات، بذريعتين : العولمة ومكافحة الإرهاب، وبجملة من الأدوات العالميّة والإقليميّة العسكريّة والاقتصاديّة والسّياسيّة والثّقافيّة وتأتي اسرائيل في منطقة الشرق الأوسط وداخل الجسد العربي، كأهمّ أداة متعدّدة الاختصاصات.

وغير خاف على أحد أنّ التّنائي الامبريالي– الصّهيوني لايرضى بأقلّ من وضع شعوب المنطقة وأممها، وفي مقدّمتها شعوب الأمّة العربيّة تحت أقدامه، وتجريدها من كافّة مقوّمات السّيادة والنّهضة والعزّة حتّى يستبيح ثرواتها وطاقاتها ويقطعها عن جذورها الحضاريّة وآفاقها المستقبليّة وهو يسعى سعيا حثيثا إلى تحقيق ذلك عبر مشروع "الشّرق الأوسط الكبير" أو "الشّرق الأوسط الجديد" وعبر ألف طريق وطريق ويعمل على الأرض كي يغيّر الخارطة بدءا بخارطة العقول وعن طريق القوّة والحرب العدوانيّة والإبادة إذا لم ينفع التّهديد والوعيد ولم تُجدِ سياسة الإغراء والشّراء وعمليّات غسل المخّ بما يجعل شرّ الامبرياليّة والصّهيونيّة اليوم أمرا واقعيّا، تترجمه الأحداث الحادثة في لبنان وفلسطين والعراق وأفغانستان وعلى أبواب سوريا وإيران وكوريا، فضلا عن وقائع أروقة الأمم المتّحدة ومجلس الأمن حيث تستكمل سياسة المكيالين والمعايير المزدوجة ما بدأته الحرب.

أمّا الضّحايا، شعوبا وأمما وبلدانا وبلدات ومدنا وقرى ومخيّمات، فلا تفرّق البوارج والطّائرات والقنابل العنقوديّة بين سنّتهم وشيعتهم، وبين عربهم وفرسهم وتركهم وكردهم، ومسلميهم ومسيحيهم متى كانوا وطنيّين، وأحرارا، وحريصين على استقلال بلدانهم ونهضة أممهم وعزّة أقوامهم ومتى رفضوا الاحتلال والإذلال ونبذوا قدر العبيد.

وأمام القوّة العسكريّة والتّقنية الجبّارة للوحش الامبريالي تكمن قوّة المقاومة في وعيها أوّلا الوعي الذي يجعلها تحدّد التّناقض الرّئيسي تحديدا سديدا حتّى تحشد لحلّه كافّة القوى وتركّز الضّرب وتصوّب الرّماية. ألم يقل المتنبّي قديما وهو يختزل خبرة المعارك الجارية تحت أنظاره بين سيف الدّولة وجحافل الرّوم على السّاحل السّوري – اللّبناني : "الرّأي قبل شجاعة الشّجعان هو أوّل وهي المحلّ الثّاني". وبعد التّأكّد من صحّة الرّأي وسداد الرّؤية تأتي وحدة الصفّ التي تعني وحدة الرّاية ووحدة التّنظيم ووحدة السّياسة أو ما يُعبّر عنه في الأدبيّات المعروفة بالجبهة جبهة التّحرير وجيش التّحرير، إلخ. وأن تُطوى جميع الرّايات وتتخلّى جميع الفصائل عن أنانيّاتها الطّائفيّة والحزبيّة وتسحب رؤوس بنادقها وتخضع لمركز القوّة الموحّدة، إذا كانت تطمع في تحرير فلسطين وتحرير العراق والتّصدّي الفعلي للأطماع الخارجيّة وكسب التّقدير والتّأييد داخلها وخارجها.

حينئذ تحتلّ المسألة الوطنيّة، حيث هناك خطر أجنبيّ فعليّ، صدارة المسائل ويعلو التّناقض مع الخارج (وعملائه في الدّاخل) على بقيّة التّناقضات ويفرض على النّظام (الوطني) والمعارضة (الوطنيّة) إحكام التّعاون لحماية البلد وردّ العدوان ويصبح الصّمود والاستبسال في وجه الحملة الاستعماريّة هو المقياس، وأساس الفرز والاستقطاب بين الصف الوطني والصفّ المعادي.

ومن حقّ المقاومة في كلّ بلد محتلّ أن تطلب العون والنّصرة على أعدائها، وأن تتلقّاهما وهذا أمر ليس بجديد على حروب التّحرير شرقا وغربا وإثارته اليوم تدخل ضمن سياسة المكيالين الّتي رسّختها الامبرياليّة الأمريكيّة والهادفة إلى عزل حركات المقاومة وتقديمها كما لو كانت حركات إرهابيّة أمّا إرهاب الدّولة الفعلي الذي تمارسه فلا بأس من أن يجد المساندة ومن أن تعدّ مساندته فريضة على كلّ مسلم ومسلمة وكلّ مسيحيّ ومسيحيّة واسرائيل التي تحتلّ أراضي جيرانها وتستوطن أرضا ليست أرضها وارتكبت المجازر وتستخدم الأسلحة المحظورة مدعومة أمريكيّا وأروبيّا ويُراد لها أن تكون مدعومة عربيّا (وقد حظيت بذلك فعلا !!) بل ويراد لها أن تُحمى من ردّ فعل ضحاياها بحزام أمني في جنوب لبنان يستنفر طاقة العالم كافّة، ويُعاب على سوريا وإيران أنّهما تساندان هؤلاء الضّحايا وتشدّان أزر مقاومة الاحتلال، ويراد عقابهما على ذلك، وعربنا يتفرّجون بل يجدون عذرا للغزاة العتاة في مثل هذا اللاّمعقول، وفي ما يرتكبون على الأرض.

إنّ العرب المختبئين وراء التّناقضات الثّانويّة سواء كانت قوميّة (مع الفرس) أو طائفيّة (مع الشيعة) أو غيرها، يتجاهلون طبيعة المعركة ويفوّتون على الأمّة موعدا مع التّاريخ (مهما كان حجمه) ترفع فيه رأسها بعد دهر من القهر. ولا عذر لمن أخطأ التّقدير والتّمييز إذا لم يراجع حساباته ويسوّي بوصلته ولم يرسم خطّ الفصل بينه وبين المتربّعين على آرائك الحكم الّذين تعمّدوا النّفخ في الخلاف العربي الفارسي، والسنّي– الشّيعي، وركبوا قاطرة إذكائه وراء أمريكا واسرائيل مقابل تجاهلهم التّناقض الحقيقي الّذي يحرّك المنطقة والعالم الآن والذي محوره الوطن والمسألة الوطنيّة، في ظلّ الهجمة الامبرياليّة العولميّة الرّاهنة.

ولذا ظلّ هذا الرّهط من حكّامنا طيلة الحرب على لبنان ينتظرأن يتكفّل سلاح المعتدي بأمر سلاح المقاومة، وظلّ يتذرّع بالخطر الإيراني والشّيعي ويراه أخطرمن الخطرالصّهيوني وهبّ بعض أطرافه أمام النّصر المحرج الذي حقّقته المقاومة "رغم الدّاء والأعداء"– يعزف معزوفة إعادة الإعمار وكأنّه كان ينبغي أن يصمت العرب ويخرس العالم أمام الدّماروألاّ يحولوا دون مواصلته وهم قادرون لو شاؤوا، وبأقلّ التّكاليف حتّى تضع الحرب أوزارها وتنتهي عمليّة التّهديم كي تبدأ إعادة البناء ويقع تكريس العبثيّة في أجلى مظاهرها.

لافرق بين عربي وفارسي وتركماني وكردي، ولابين سنّي وشيعي، أو مسلم ومسيحي ويهودي أو بين علماني وديانى أو بين هذه العشيرة وتلك، أو بين سوري وإيراني وعراقي وفلسطيني وسوداني وكوبي وكوري وفنزولي وبلقاني إلاّ بالصّمود في وجه الحملة الاستعماريّة الجديدة وبرفض الولاء للأجنبي والاستقواء به على النّظام الوطني، وعلى الأمّة.

مسائل نثيرها وندعو إلى إثارتها وطرحها ونقاشها عبر وسائل الإعلام المختلفة وخاصّة، ما تعلّق منها بشبكة التّناقضات الرّاهنة، وكيفيّة التّعامل معها، ولا بأس أن يكون الموضوع فكريّا – سياسيّا، فالحاجة ماسّة وملحّة إلى ضوء المعرفة، وشعاع النّظريّة وشمس الفكر، حتّى تنجلي الطّريق وتتكشف الحفر وتقلّ الحوادث.

(جريدة "الشّعب"، العدد 882، السبت 9 سبتمبر 2006)

علي الجلولي

فلسطين قضية أممية

يتحرك الأحرار في كل مناطق العالم رفضا للعدوان الصهيوني الغادر على الشعب الفلسطيني ومقاومته. يتحرك الأحرار حاثين أنفسهم على تفعيل مزيد من أشكال الإسناد، كما يخرج المقاومون من مختلف المواقع والفعاليات للدعوة إلى مزيد التحرك في كل الميادين والشوارع العربية والعالمية، فالقناعة حاصلة لدى أهل القضية كما لدى قوى التحرر في العالم أنّ القضية الفلسطينية ليست قضية محلية ولا قومية، بل هي قضية أممية بكل المعاني ولكل الدواعي.

الاحتلال والتحرّر شأن عالمي

لقد ارتبط الاحتلال والاستعمار والإلحاق منذ غابر القرون بمصالح الطبقات والدول الكبرى المتنفذة، لذلك كثيرا ما اتجهت الشعوب والطبقات المضطهدة والمحتلة إلى التآزر والتضامن وحتى الوحدة لمواجهة الغزاة والمحتلّين. وقد تطورت أشكال التضامن في عالمنا المعاصر ضد الاستعمار الذي وقع تعميمه منذ أواسط القرن التاسع عشر حين تحوّلت الرأسمالية إلى مرحلة الاحتكار بما تطلب تقسيم العالم إلى مناطق نفوذ وأسواق بين كبريات الاحتكارات لينقسم العالم إلى دول محتلّة وهي دول الشمال الامبريالية وبلدان تابعة وخاضعة وهي بلدان الجنوب. لقد واجهت هذه الأخيرة الاحتلال والإلحاق مجتمعة بأشاكل متعددة أبدعتها لتحقيق المواجهة المشتركة للاستعمار. وقد ظهرت خاصة بعد الحرب العالمية الثانية حركة عالمية مناهضة للاستعمار ونشطت خاصة في البلدان الاستعمارية وجمعت بين صفوفها كل القوى التقدمية والرافضة للحرب والعدوان والنهب. وقد لعبت هذه الحركة دورا مهما وحيويا في الإسناد السياسي والمادي لحركات التحرر الوطني. لقد وجدت الحركة الوطنية الجزائرية والفيتنامية والكونغولية وغيرها الاحتضان الكامل ليس من قبل شعوب تلك البلدان وحسب بل أيضا من قبل حركة عالمية نشيطة للمساندة. ولقد كانت حركة اليسار في قلب كل الأنشطة المساندة التزاما بموقف الفكر الاشتراكي من الاستعمار والاستغلال. لقد لعبت الحركة الاشتراكية العالمية دورا نشيطا ومحوريا في محاصرة الاستعمار وفضحه والتشهير به وهو ما قامت به الحركة العمالية حين نظمت الإضرابات في الموانئ والمطارات ضد شحن الأسلحة والرصاص لقتل الأبرياء والهيمنة على الأوطان. ولعب الشباب والطلاب والنساء والحقوقيون والمثقفون والمبدعون دورا ميدانيا أدّى في عديد الحالات إلى التصادم مع الآلة الرأسمالية في قلب بلدانها. لقد تحرك الشارع الفرنسي الحر ضد استعمار فرنسا للجزائر ولن ينسى الأحرار الصدامات العنيفة مع هذا الشارع في خمسينات وستينات القرن المنصرم حين انتصر ثوريو فرنسا لقضية الجزائر التي استهدفت طيبة مائة وثلاثين عاما باستعمار استيطاني نفى عنها هويتها واعتبرها جزء من فرنسا. كما سيخلّد التاريخ حركة المساندة اللامسبوقة لشعب الفيتنام وثورته بما في ذلك في الولايات المتحدة ذاتها. لقد ساهمت حركة الإسناد في أضعاف المستعمر وتقوية المستعمرين وهو ما يحتاجه اليوم شعب فلسطين.

قضية فلسطين قضية أحرار العالم

لقد وجدت الثورة الفلسطينية المعاصرة المساندة من قبل أحرار العالم وها هي اليوم مثل الأمس تعبّئ الملايين بما في ذلك في عواصم ومدن الدول الامبريالية التي خلقت الصهيونية وموّلتها وتحفظ نفوذها في المنطقة والعالم. والأمر لا يتعلق فقط بالتطورات الحالية على خلفية عملية "طوفان الاقصى" البطولية التي نفّذتها المقاومة المسلحة الفلسطينية ردا على الغطرسة والوحشية الصهيونية ضد الشعب الفلسطيني في كل أماكن تواجده.

لقد خرج الثوريون والتقدميون وأنصار الحرية والسلام في كل بلدان العالم. خرج السياسيون والنقابيون والحقوقيون والنساء والشباب والمثقفون. خرج حتى رجال الدين اليهود للتبرّؤ من الجرائم الصهيونية التي تأخذ شكل حرب الإبادة والتصفية. وكما تجد دولة العصابات الصهيونية كل الدعم والمساندة من الدول والمؤسسات والشركات الاحتكارية الدولية، فإنّ شعب فلسطين يجد التعاطف من قبل قوى الحرية والتقدم. إنّ حركة الإسناد هي بصدد تكسير الطوق والتشويه والحصار وتزييف الحقائق.

لقد انجرّ جزء من الرأي العام العالمي وراء الرواية الرسمية الصهيونية والتي تصوّر ما يجري أنه "إرهاب فلسطيني" واستهداف للمدنيين والأبرياء وهو الزيف بعينه. هنا بالضبط يقوم الأحرار في العالم وخاصة في أوروبا وأمريكا الشمالية بدور حيوي في التوضيح دفاعا عن الحقيقة كما هي على الأرض وهي أنّ الإرهاب هو ما تمارسه دولة الاحتلال الصهيوني ضد الأبرياء الفلسطينيين.

كما تلعب حركة الإسناد الأممي دورا مهمّا في مقاطعة البضائع والسلع والايديولوجيا الصهيونية. ويضطلع نشطاء حركة المقاطعة بمهمة صعبة لكنها فعالة في محاصرة الاستعمار الصهيوني وتعزيز رفضه والتعارف مع ضحاياه أي الشعب الفلسطيني ومقاومته.

تطوير الإسناد الأممي مهمة الثوريين

إنّ المطلوب اليوم هو دفع نجاعة العمل الإسنادي إلى ذروته كي يحقق أهدافه مثلما حققها مع الشعب الجزائري والفيتنامي... وهي مهمة الثوريين دون شك. فالحركة الاشتراكية والشيوعية هي في صدارة هذا العمل، لكن موازين القوى المختلة عموما لصالح الامبريالية وأتباعها تفرض مزيد تنظيم أعمال المساندة والتضامن بحثا عن الجدوى. وفي هذا الصدد فإنّ بعث جبهة عالمية مناهضة للامبريالية والصهيونية ومساندة لفلسطين هي مهمة ممكنة وضرورية لأنها ستخلق الإطار والفضاء لمزيد تنظيم حركة التضامن على المستوى العالمي. ويمكن لبعث هذه الجبهة محليا وعربيا أن يكون خطوة مهمة في هذا الاتجاه. لقد قدرت البلدان التي احتوت هذا النوع من الأطر على خلق حالة نضال واسعة مثل نماذج الأردن ولبنان والمغرب أين تلعب القوى التقدمية دورا طليعيا في هذا الملف. وفي بلادنا ذات التاريخ المجيد في مساندة قضايا للتحرر من الفيتنام إلى فلسطين مرورا بالعراق. ويعتبر بعث لجنة دعم المقاومة خطوة صحيحة لتعبئة شعبنا وقواه الحية للقيام بواجبه إزاء شقيقه الفلسطيني.

إنّ المطلوب من القوى الوطنية والتقدمية هو تصعيد أشكال الإسناد السياسي والمادي باعتبار ذلك بعدا من أبعاد الصراع مع المحتل. فالانتصار الذي يحققه وسيحققه الشعب الفلسطيني لا يعنيه وحده بل يعني مجمل المعركة العالمية ضد الامبريالية والراسمالية. لقد انعكست كل الانتصارات التي حققتها الشعوب والطبقات المضطهدة على حركة النضال العالمي. إنّ الصراع مع الاستغلال والاضطهاد والاستعمار هو صراع أممي يتوزع على أماكن متعددة لكن جوهره وأهدافه تبقى واحدة وترتبط بتحرر الإنسان بقطع النظر عن مكان تواجده من الكرة الأرضية.

إنّ شعب فلسطين ومقاومته الباسلة في حاجة إلى الإسناد. مثلما نحن وشعوب العالم في حاجة ماسة إلى انتصار الشعب الفلسطيني، فلن يشكل ذلك إلاّ اندفاعة جديدة لمعركة النضال الأممي الضاري ضد كل أشكال امتهان كرامة البشر.

مرتضى العبيدي

هل أنّ وهم الدولتين مازال قائما ؟

من جديد، تكشف المقاومة الباسلة للشعب الفلسطيني مكر ونفاق القوى الامبريالية المتشدقة بحقوق الإنسان. فعلى ضوء ما يجري اليوم على أرض فلسطين، سارعت فرنسا مثلا الى منع كل مظاهر التعبير عن المساندة للشعب الفلسطيني وأصدرت جملة من المناشير تجرّم المشاركة فيها وتسلط عقوبات بما فيها السجن أو الترحيل عن المخالفين، بدعوى معاداة السامية، معتبرة أن معاداة دولة الاحتلال والأيديولوجية التي تقوم عليها أي الصهيونية هي معاداة لليهودية، وهنا تكمن المغالطة الكبرى.

الخلط المتعمّد بين اليهودية والصهيونية

فكلما هبت المقاومة الفلسطينية للدفاع عن أرض فلسطين المسلوبة ودحر العدوان الصهيوني عليها، إلا وتحركت الآلة الإعلامية الإمبريالية . الصهيونية لبث المغالطات وتشويه النضال المشروع للشعب الفلسطيني، ووصفه بالإرهاب وبأن غايته هي القضاء على اليهود. فيوصف كل مساند للحق الفلسطيني بأنه معاد للسامية ويعرّض نفسه في عديد البلدان الامبريالية الى التتبع والمساءلة القانونية. ومن هنا الخلط المقصود بين اليهودية والصهيونية. والواقع أن أغلب يهود العالم رفضوا الأيديولوجيا الصهيونية عند بروزها، ومازال الكثير منهم يرفضونها الى اليوم، بل أن عديد اليهود في العالم معادين صراحة للصهيونية ويساندون الحق الفلسطيني، بينما الكثير من غير اليهود يتبنون الفكرة الصهيونية ويستميتون في الدفاع عنها.

فإذا كانت اليهودية دينا سماويا، فإن الحركة الصهيونية التي برزت أواخر القرن التاسع عشر كانت ترتكز على أيديولوجيا استعمارية عنصرية، إذ طرحت منذ نشأتها فكرة إقامة وطن قومي لليهود. فلاقت الفكرة صدى في نفوس غلاة المستعمرين في بريطانيا. فوعد اللورد بلفور زعماء الحركة بتمكينهم من فلسطين لتحقيق حلمهم. والحقيقة أن اليهود الفلسطينيين والعرب عاشوا في فلسطين والبلاد العربية الاخرى مثل مصر والعراق واليمن والمغرب وغيرها، في سلام وطمأنينة قروناً عديدة دون أن يفكروا أصلا في المطالبة بكيان سياسي مهما كان شكله أو حكم ذاتي، بل عاشوا مع غيرهم كمجموعة دينية/ثقافية ومارسوا حرياتهم الدينية والثقافية دون عوائق، الى أن برزت الحركة الصهيونية وأولت اهتمامها لفلسطين وخططت لاحتلالها واجتثاث شعبها وإقامة وطن قومي لليهود على أرضها.

ولن نسرد هنا مختلف مراحل العدوان الصهيوني التي أدت الى احتلال فلسطين والى الواقع القائم اليوم، بل سنكتفي بتفحّص جانب واحد من المعضلة الفلسطينية والمتعلق بالحلول المطروحة ومنها حل الدولتين.

انهيار وهم الدولتين

نعلم أن قرار التقسيم أقرته الجمعية العامة للأمم المتحدة منذ سنة 1947، ورفضته الدول العربية ومعظم الفلسطينيين. وأقيمت دولة العصابات الصهيونية على أرض فلسطين وتوسعت على إثر الهزائم العربية المتتالية وتهجير الفلسطينيين نحو البلدان العربية المجاورة. لكن الدعاية الامبريالية . الصهيونية واصلت منذ ذلك التاريخ ترويج الأوهام بإمكانية قيام دولة فلسطينية تعيش في سلام مع الدولة الصهيونية. واستمرت الأخيرة في توسعها واحتلالها المزيد من الأراضي. بينما لم تر الدولة الفلسطينية النور حتي الآن بل إنها تقلصت لمجرد منطقة ضيقة يعيش فيها الفلسطينيون تحت الإدارة والتهديد والاستباحة العسكرية الإسرائيلية.

واتضح أن السلطة الفلسطينية في منظور الصهاينة هي مجرد ادارة ذاتية "للكانتونات" الفلسطينية، وليست سلطة سياسية وطنية حقيقية. هذا هو سقف واقصى ما يمكن ان تصل اليه السلطة الفلسطينية، ضمن إطار "دولة يهودية" هي "إسرائيل الكبرى" على مجمل ارض فلسطين التاريخية. بل إن اللاءات الخمسة التي تبنتها الأحزاب الصهيونية قاطبة بانه لا انسحاب من القدس، ولا انسحاب من وادي الأردن، لا إزالة للمستوطنات، ولا عودة للاجئين، ولا للدولة الفلسطينية المستقلة، دفعت بحل الدولتين الى افق مسدود.

وهو ما يجعل التظاهر الصهيوني بقبول حل القضية الفلسطينية في إطار دولتين، واحدة فلسطينية وأخرى "يهودية،" مجرّد مناورة لكسب الوقت وفرض وقائع مادية جديدة على الارض. فالكيان الصهيوني . ومن ورائه القوى الامبريالية . لم يعمل ابدا على الحوار الجدي مع الفلسطينيين للتوصل الى حل، وانما لمزيد السيطرة عليهم، بل إننا نعتقد أنه لم يرغب يوما في التعايش معهم وانما سعى فقط لاقتلاعهم من أرضهم.

ولأن الكيان الصهيوني ليس إلا صنيعة الامبريالية الغربية ورأس حربتها لتأمين مصالحها في الوطن العربي وضمان نهب الثروات التي يزخر بها، فإن الصراع ضده سيبقى مستمرا حتى هزيمة المشروع الامبريالي الصهيوني برمته.

لكن هذا الهدف ليس مطروحا للتحقيق ضمن إطار موازين القوى القائمة الآن، بل في إطار النضال من اجل تغييرها وتأمين التحولات الضرورية في الواقع العربي.

إن الجري وراء سراب الشرعية الدولية ليس سوى مضيعة للوقت واستمرارا لمعاناة الشعب الفلسطيني. فالعمل النضالي الاستراتيجي يقوم على الايمان بالجماهير والاعتماد على قوتها الكامنة، وعلى إعادة تشكيل الحركة السياسية وقوى المواجهة والتحرر، خاصة وقد وصل الاحتقان الشعبي العربي الذي ولدته الوحشية الامريكية الصهيونية في فلسطين ولبنان والعراق وسوريا واليمن وليبيا حد الغليان. فعلى القوى الثورية استثمار هذا الغليان الشعبي في تأسيس فعل مقاوم يتحول مع المراكمة الى عمل منظم.

إن الطريق المسدود الذي آل إليه حل الدولتين يجعل من شعار إقامة الدولة الديمقراطية العلمانية على كامل التراب الفلسطيني وعاصمتها القدس شعارا واقعيا، وهو شعار يرتكز الى ثلاث مستندات ألا وهي: رفض الاعتراف بالكيان الصهيوني، والنضال من أجل تفكيكه، وحق العودة للاجئين الفلسطينيين.

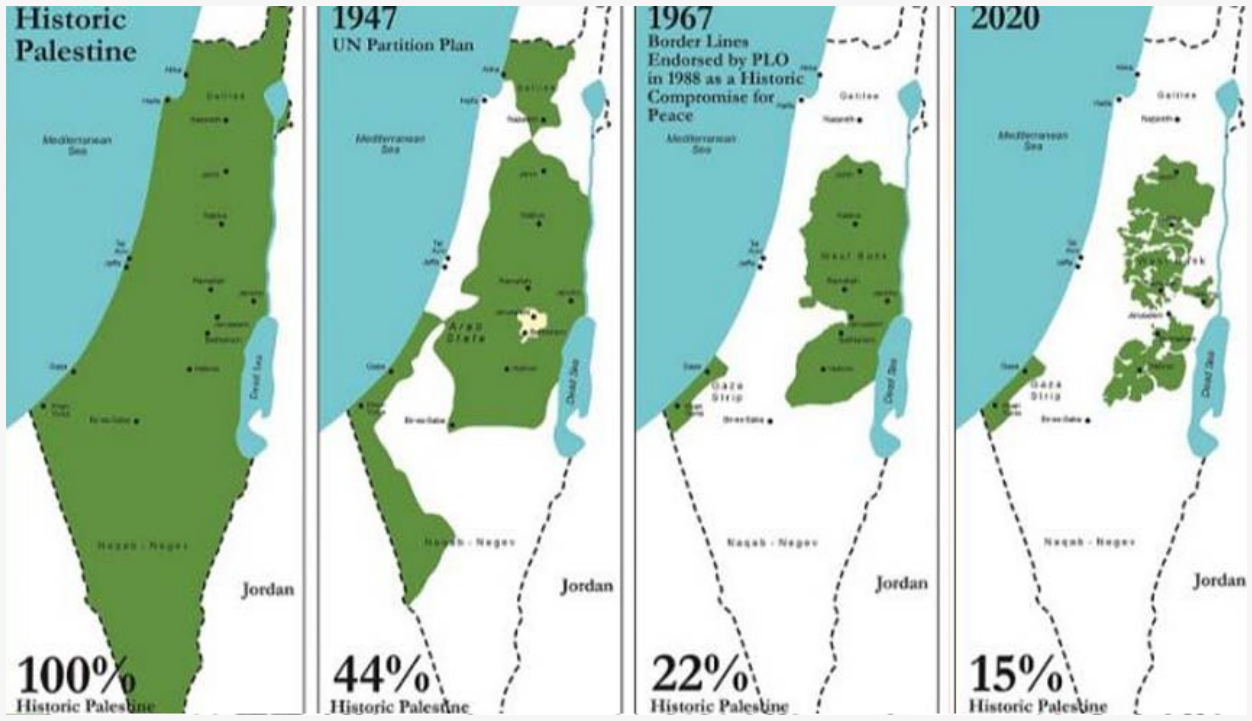

جريدة يصدها حزب العمال
ISSN ردمد 2421 - 223
البريد الالكتروني : sawt.echa3b@gmail.com
الموقع : https://www.sawt-achaab.tn
الفايسبوك : https://www.facebook.com/sawtcha3b